العلامة المتفق عليها للوقوف فتوقفت موقتاً في البحر طلباً للهرب والنجاة جاز للسفينة الحربية مطاردتها ورميها بالقنابل توصلاً الى ايقافها ومنعها من الهرب ومتى وقفت يرسل قبطان السفينة الحربية بعض رجاله اليها ليطلعوا على اوراقها ويحققوا جنسيتها

وغاية هذا التفتيش منع السفن المحايدة من تهريب المواد الممنوعة للعدو ومنع العدو نفسه من الانتفاع بتجارة مراكبه اذ تصبح غنيمة في يد عدوه ينتفع بها كيفما شاء. اما تخريب السفن المأسورة واغراقها فلا يجوز الا في اشد الحالات كأن ترى السفينة الآسرة بوارج العدو تطاردها طمعاً في تخليص مركبها التجاري ولا ترى وسيلة تمنعها من اخذه الا تعطيله واغراقه لكي لا ينتفع عدوها به

وفي كل الاحوال لا يصح المركب المأسور ملكاً للآسر الا بعد التحقيق والبحث . ويجري التحقيق في جنسية المركب وحمولته امام محاكم ذات اختصاص بهذه الامور

ومحاكم التحقيق هذه ادارية الاختصاص في الغالب اي انها تُعد من المحاكم الادارية في اغلب بلاد اوربا الا في بلاد الانكليز والولايات المتحدة فتحسب كباقي المحاكم الاهلية فان حكمت بان المركب من مراكب العدو اصبح ملكاً لآسره والا فيحتم على الآسر القيام بالعطل والضرر اللذين اصابا اصحاب المركب وارباب الاموال التي فيه

سامي الجريديني المحامي

سورية مهد الحنطة

ذكرنا في الاخبار العلمية من مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٩ ما نصهُ

« لا يخفى ان زراعة القمح قديمة جداً في كل انحاء المسكونة فقد كانت معروفة عند قدماء الصينيين والمصريين والاشوريين وغيرهم ولكنَّ القمح البري لا يزال مجهولاً . وقد وجد احدهم منذ خمسين سنة عشبة في راشيا احدى قرى جبل الشيخ قال الاستاذ كورنيك في ذلك الحين انها القمح البرّي عينهُ ولم تزل هذه العشبة في معرض ثمينا النباتي واطلق عليها اسم Triticum dicoccoides وخالفهُ كثيرون من العلماء في رأيهِ وقالوا انها ليست سوى قمح وقعت حبوبهُ في البرية فآل امرهُ الى الانحطاط

« وقد وجد الآن ما يؤيد كلام كورنيك فان المسيو آرونسن من سكان حيفا عثر على كثير من هذا القمح البري في اماكن عديدة من فلسطين حيث التربة قليلة مثل خان جب

يوسف وقرية يمونة والجهة الشرقية من جبل كنعان و بين مجدل شمس وعرنة في جبل الشيخ

« ولهذا الاكتشاف اهمية من وجهين فان صح ان هذا النبات هو اصل القمح المعروف فزراعة القمح لم تنشأ في بلاد كثيرة التربة كالعراق او مصر بل في بلاد صخرية قليلة التربة مثل جبال فلسطين حيث وجد القمح البري والشعير البري . واذا كان في استطاعة القدماء ان يحسنوا القمح و يبلغوه الى الدرجة التي بلغها في امكاننا ان نزيده تحسيناً بالوسائل العلمية الحديثة » انتهى

وقد وقفنا الآن على خطبة في هذا الموضوع للاستاذ شودا استاذ علم النبات في جامعة جنيفا فاقتطفنا منها ما يأتي قال

الامم التي تكثر من زرع الحبوب هي الامم الغنية حقيقة . وفي كل من البلدان الراقية جماعة من العلماء انقطعوا للبحث عن الاساليب التي تزيد بها ثروة الامة باتقان الزراعة وما يمكن ادخاله فيها من الاساليب التي تكفل للبلاد توفر الثروة

ولكل اكتشاف يترتب عليه ازدياد ريع المزروعات او اجادتها اهمية تفوق اهمية الانقلابات السياسية . ولو لم يكن للاكتشافات الحديثة فضل آخر سوى تسهيل نقل الحنطة والدقيق مما منع حدوث المجاعات اوان انحط لكفى به دليلاً على نفعها الاكبر للجنس البشري

وللحنطة المكان الاول بين الحبوب وقد كان القدماء يتخذون نموها رمزاً للحياة و يقدمونها لمعبوداتهم ويستخدمونها في كثير من الشعائر الدينية

وام انواع الحنطة ثلاثة الامر والسلت والقمح الصميم . ويختلف النوعان الاولان عن النوع الثالث في ان سنابلها قصيرة لان فقار السنابل ذات مفاصل تتقصف بسهولة وفي ان حبوبها تبقى مغلفة بعد نضجها ولا تنفصل عن العصافة الا بطرائق مخصوصة . اما النوع الثالث فتفقار سنابله غير مفصلة وحبوبه تتساقط من السنبلة عند نضجها وهو يفضل على الاولين في الاماكن التي ينبت فيها . وقد وجدت عصافة الامر في بعض القبور المصرية من عهد الدولة الاولى فدل ذلك على ان المصريين القدماء كانوا يعتمدون على هذا النوع من الحنطة في زراعتهم منذ ستة آلاف سنة . و يظهر انهم كانوا يستخلصون الحبوب من العصافة باساليب خصوصية غير ضرب السنابل بالمراوة او سوق الماشية عليها لتدوسها

ومن النوع الثالث اي القمح الصميم صنف يعرف بالقمح الصلب ينمو في ما جاور بحر الروم وقد ثبت ان المصريين عرفوه وزرعوه منذ ازمان طويلة

واذا كانت انواع الحنطة كلها نشأت عن أصل واحد فالانواع ذات القشار القصمة احقها بان تكون ذلك الاصل الذي تفرعت عنهُ سائر الانواع لانها ادناها في درجات الشوء . وهي لا تزال تزرع في جبال جورا الشمالية بفرنسا و بلاد الصرب ومقاطعة الباسك من اسبانيا ومقاطعة سوابيا من المانيا وفي بلادٍ بلخ بفارس ومن هذا يتبين لنا ان الحنطة القصمة القشار لا يعوّل عليها الزارعون في وقتنا الحاضر الاَّ في الجبال والبلاد النائية . وقد بطلت زراعتها في سهول مصر الخصبة حيث حل مكانها القمح الصلب

فاذا علمنا ان القمح ذا القشار القصمة هو اقدم انواع الحنطة حكمنا ان مهد الحنطة هو البلاد التي ينمو فيها هذا النوع في الحالة الطبيعية اي بريًّا . وقد عثر احدهم عليهِ في اسيا الصغرى فظن انهُ اصل الحنطة ولكن الفرق بين الصنف الذي عثر عليهِ و باقي الاصناف المستعملة في الزراعة كبير حتى يصعب التسليم بانها نشأت عنهُ

وقد مضى على العلماء نحو قرن وهم يبحثون عن اصل الحنطة ومهدها فنقّبوا عن ذلك في علم النبات وعلم مقابلة الاعضاء والتاريخ والفيلولوجيا فلم يصلوا الى نتيجة تذكر . وذهب البعض الى ان الحنطة نشأت من نوع من النبات ذهب من الوجود او ان الفرق بينها وبين الحنطة الاصلية قد زاد على تراخي العصور حتى تعذّر اكتشاف القرابة بينهما . اما القدماء فكانوا يعتقدون ان الآلهة انعمت على البشر بالحنطة وعلّمتهم كيفية زرعها

ولا بد ان يكون الانسان قد عثر على هذا النبات في الحالة الطبيعية وفيهِ اكثر مزاياهُ النافعة لانهُ يتعذر عليهِ وهو في الحالة الهمجية ان يأتي بما يجزعنهُ علماء هذا العصر اي ان يأخذ نباتًا بريًّا لانتفع منهُ فيزيهِ و يعالجهُ حتى يولد منهُ الحنطة على ما نراها اليوم

قال الفونس ده كندول العالم النباتي المشهور في كتابهِ اصل النباتات الزراعية « ان بلاد ما بين النهرين متوسطة بين البلدان التي يزرع القمح فيها فقد كانت زراعتهُ تمتد من الصين الى جزائر كناري وعليهِ فلا يبعد ان يكون مهد الحنطة الاصلي فيها . و يمكننا ان نشرك سورية مع بلاد ما بين النهرين في ذلك لما بين البلادين من تشابه الاقليم . ولم تنبت الحنطة في البلدان الاخرى الاَّ بعد ان نقلها الانسان اليها وقام على حراثتها »

وسنة ١٩٠٢ اتى المسيو آرونسن الذي عين مديرًا فنيًّا لمستعمرة حيفا الزراعية ببعض انواع الحنطة البرية ووضعها بين يدي العالم المعروف كورنيك فحكم انها صنف جديد من نوع الامر . ثم بنى على هذا الاكتشاف حكمًا هو نفس الحكم الذي بناهُ ده كندول على الادلة التاريخية وهو ان سورية هي مهد الحنطة الاول

وجعل اصدقاء آرونسن في اوربا يحثونهُ على متابعة البحث عن الحنطة البرية فجاراهم في ذلك متثاقلاً لانهُ كان متأكداً ان مساعيهُ في هذا السبيل عبث اذ ان العلماء الذين درسوا البحث في نباتات سورية وفلسطين كالدكتور بوست لم يذكروا شيئاً عنها. واخيراً عثر على سنبلة في شق صخر الى الشمال من بحيرة طبرية . وما عثر بعد ذلك ان رأى شيئاً كثيراً من هذه السنابل في صخر جبل الشيخ يختلف بعضها عن بعض اختلافاً ظاهراً فغلاف الحبة في بعضها اسود كلهُ او بعضهُ وفي بعضها مغطى بالزغب او عارٍ منهُ . وفيها ما يشبه الحنطة البولونية

ويستنتج من كثرة انواع الحنطة البرية في ذلك الجبل وامتدادها فيهِ من علو ١٥٠٠ متر الى علو الفي متر انهُ موطنهُ الاصلي . ومن المقرر الثابت ان الحنطة لا تنمو بدون اعتناء الانسان بها وانهُ مهما طالت زراعتها في بقعة من الارض لا يمكن ان تعيش فيها وتنمو من نفسها لان النباتات الاخرى تقوى عليها وتخنقها . زد على ذلك ان الامر البستاني لا يزرع في فلسطين على الاطلاق ولم يعثر على نبات متوسط بينهُ وبين الانواع التي تزرع في تلك البقعة

ثم عثر آرونسن سنة ١٩٠٨ على الشعير البري في ارض موآب الى الشرق من البحر الميت عند قرية يقال لها المزرعة وبالقرب من ذلك المكان وادٍ يقال لهُ وادي وحلة تكثر فيهِ القطران فاستنتج من ذلك ان تلك البقعة في موطن اول قبيلة عرفت الحنطة وقامت على زراعتها قبل التاريخ بازمان مديدة . وبعد ذلك وجد الامر البري في وادي الاردن وسهل الملط واماكن اخرى من فلسطين

ومما يرجح بل يؤكد ان الانسان وجد الحنطة ولم يوجدها ان الحبوب في الحنطة البرية ليست دون الحبوب في الحنطة الزراعية وزناً ولا حجماً . وبعد ان تأكدنا نمو الحنطة البرية في سورية لا يصعب علينا ان نتصور امتداد زراعتها الى ما بين النهرين حيث السهول الخصبة واقبال الناس على زراعتها لكثرة نفعها . وقد كان لها شأن كبير عند الاشوريين وذلك ظاهر من نقوشهم التي تكثر فيها صور السنابل واعمال الزراعة . واذا اكتشف نبات زراعي نافع تنتشر زراعتهُ في كل مكان بسرعة غريبة مثال ذلك التبغ والبطاطس فانهما وصلا الى قلب اوربة وصرود جبال حملايا بعد اكتشافهما بقليل

ولاكتشاف القمح البري الذي هو اصل قمح المزارع شأن كبير عند علماء الزراعة يعود بالربح الوافر على البلدان الزراعية . وايضاحاً لذلك اقول ان كل نوع من انواع النبات يحوي

اصنافاً مختلفة فاذا زرع مقدار كبير منهُ او اذا نبت من نفسهِ برّيًّا في ارض واسعة اختلطت هذه الاصناف بعضها ببعض فتعذَّر ظهور المزايا التي تميزها . ولكن اذا زرعت بزرة واحدة او بزور متفرقة ثم زرعت البزور التي تتولد من كل بزرة على حدة ظهرت فيها الاصناف التي يشتمل عليها ذلك البذار وامكن فصلها بعضها عن بعض ويظهر حينئذٍ انها مختلفة كثيراً او قليلاً شكلاً وحجماً وصلابةً وتركيباً . والآن تفرز الحبوب في اماكن مختلفة لاظهار مزاياها ويفتش عن اصناف القمح من حيث امتيازها بالصفات التالية وهي الجذبة او التكثين (اي تولُّد اصول كثيرة من الحبة الواحدة) وانتظام النمو والحمل وعدم ميل القصل للترقيد وطول السنابل وتركيب الحب من حيث ما فيهِ من النشا والسكر والنيتروجين والدهن الخ ومقاومة الآفات المرضية

وهذه المزايا تهمُّ نوع الانسان بنوع عام لان طعامهُ متوقف على القمح فكل اكتشاف يأول الى اصلاح القمح يكون لهُ نفع كبير لنوع الانسان . هوذا فرنسا قد صارت من اغنى البلدان لان قمحها اجود من قمح غيرها

والظاهر ان السكان الاولين الذي كانوا في بلاد موآب قبل زمن التاريخ رأوا سنابل القمح البري تتايل بالنسيم وفيها من الحبوب ما هو مثل حبوب قمحنا فابتهجوا برؤيتها وجعلوا يفركون سنابلها ويأكلونها ثم جعلوا يزرعونها فكانوا اول من زرع القمح من البشر[1]

ومن غريب الاتفاق ان الذي اكتشف نبات القمح البري في وطنهِ الاصلي هو شاب اسرائيلي وهو المسيو ارونسن من نسل سكان تلك البلاد الاصليين ويسرني ان هذا الشاب من اصدقائي الباتيين وقلما اكتشف احد اكتشافاً مهماً مثل هذا وهو اظرف منهُ خلقاً واحلى عشرة وعليهِ يصدق قول القائل على قدر اهل العزم تأتي العزائم

والآن نسمع ما يقول المسيو ارونسن فقد كتب اليَّ في ٢٦ يناير سنة ١٩١١ يقول

وصلني الآن كتابكم اللطيف الذي ذكَّرني احاديثنا الشهية مدة انعقاد المؤتمر في بركسل ولقد اولتموني مزيد الفخر بالموضوع الذي اخترتموهُ لخطبتكم السنوية في اجتماع جمعية الفنون

ويسرني ان ارسل اليكم التفاصيل التي طلبتموها مني وسارسل ايضاً بعض الصور الفوتوغرافية التي صورتها في شهر يونيو الماضي لترووا فيها مزارع قمحي . ولا بدَّ من انكم

(١) [المقتطف] يحتمل انهم رأوا النمل يجمعها ويخزنها في اعراسها طعاماً لها في الشتاء كما يفعل الى الآن فاقتدوا به في جمعها وأكلها ثم زرعوها واستنبتوها

تسرون اذا علمتم انني تمكنت من زرع اكثر من فدان بالقمح الرزي . وقد اكتشفت هذه السنة في جبال الجليل نباتاً مولداً بين القمح والشوفان . وتولد من قمحي الرزي والقمح العادي صنف ليس في فقارسنابلهِ مفاصل . وقد ظهر ان قمحي الجديد لا يصاب بمرض الترميد (الصدإ) . ولا يصعب ترسيخ هذه الصفة في البذار الذي يؤخذ منهُ »

وبعد ان اتمَّ الخطيب تلاوة كتاب اروسن قال ترون من ذلك عظم فائدة هذا الاكتشاف لانهُ هدانا الى الاصل الذي تولدت منهُ القمح ومهد لنا السبيل الى الحصول على اصناف جديدة تتولد من الاصناف المعروفة ومن المحتمل ان ما تمَّ للبشر من تأصيل القمح في مدة ستة آلاف سنة يتم لنا في بضع سنوات فيمكننا مثلاً ان نجمع بين استطاعة القمح البري لتحمل القيظ ومقاومة الآفات وبين شدة نمو القمح المزروع وكثرة غلتهِ

ثم استطرد الخطيب الى عمل الخبز من دقيق القمح وكيفية تخميره حتى يختمر ويرفع اذا خبز وقال ان الخميرة التي تخمر عجين القمح لا تخمر عجين الذرة فلا يرفع خبزهُ اذا خبز وانهُ هو اكتشف بعد العناء الشديد خميراً يستعملهُ اهالي شكيم وجبال حاسيا ببلاد الهند وهذا الخمير اذا مزج بخمائر اخرى خمَّر عجين الذرة بجعل ارغفتهِ ترفع حينما تخبز فيسهل عمل الخبز منهُ كما يعمل من دقيق القمح انتهى

واننا نستغرب كيف لم يعلم الاستاذ شودا ان اهالي الوجه البحري في القطر المصري يخمرون عجين الذرة فترفع ارغفتهُ اكثر مما ترفع ارغفة خبز القمح وذلك معروف عندهم من قديم الزمان . ولعلَّ القمح الذي اكتشفهُ المسيو اروسن (او ابن هرون) هو نفس النبات الذي يكثر في سواحل لبنان ولاسيما على السطوح الترابية فان شكل سنابلهِ مثل شكل سنابل القمح وحبوبهُ كحبوب القمح لكنها اصغر منها جداً وهذا اذا صح لا يحط من قدر اكتشافهِ ونسبة فضل الاكتشاف اليهِ فانهُ مكتشف مدقق وباحث عملي محقق على ما يظهر من كتابهِ للاستاذ شودا ولكن ان كانت حبوب القمح البري الذي اكتشفهُ كبيرة كحبوب القمح المزروع ترجح ما استنتجهُ المستر غارتن وهو ان القمح كان اصلاً كبير الحب جداً ثم صغر حبهُ على مرور الزمن وقلة الانتقاء وانهُ اذا اعتني بزرعهِ وتسميدهِ الآن صار حبهُ مثل البندق جرماً . لان تربية الانواع الطبيعية اما ان تدعو الى تكبير جرمها كما كبر جرم الفرس او الى تصغيرهِ كما صغر جرم الهر وبعض الكلاب . وبعيدٌ ان يبقى جرم المرقى كجرم البري على تراخي الزمن

هذا وقد جمع ابن سيده صاحب المخصص المتوفى سنة ٤٥٨ للهجرة انواع الحنطة المعروفة

في عهده نقلاً عن الخليل صاحب كتاب العين وابي حنيفة وابن الاعرابي وابي عبيدة وكلهم من اهل القرن الثاني والثالث قال

الحنطة البُرّ اسم للجمع وليس لهُ واحد من لفظهِ وجمعها حنَط والحنّاط بائعها وحرفتهُ الحناطة . ومن اجناس البر البرنجانية وهي قبيلة الحب . والقرشية وهي صلبة سيئة الطحن خشنة الدقيق وسفاها اسود وسنبلتها عظيمة . والبرّ الذي عليهِ المعوّل واليهِ مرجع جميع الحنط هو الهابية وهي بيضاء الى الصفرة حبها دون حب البرنجانية . والسمراء حنطة غبراء رقيقة سريعة الانفراك دقيقة القصب سريعة الانديباس الى الرقة ما هي وهي اوضع الحنطة واقلها ريعاً . والمهرية وهي حمراء عظيمة السنبل غليظة القصب مدحرجة الحب مربعة . والتربية وهي حمراء وسنبلتها حمراء ناصعة الحمرة رقيقة تنثر من ادنى برد او ريح . والمكيّة وهي غبراء مستديرة والذلك سميت مكية وسنبلها غليظ امثال العصافير وتبنها غليظ لا تنشط لهُ الاكلة وهي اربع الحنطة كيلاً ودقيقاً . والحمولة وهي حنطة غبراء مدحرجة كأنها حب القطن ليس في الحنطة اكثر منها حبّاً ولا اضخم سنبلاً وهي كثيرة الريع ولا تحمد في اللون ولا في الطعم . والعلس حنطة جيدة حمراء عسرة الاستنقاء جدّاً لا تنقى الاّ بالمناخير وهي طيبة الخبز وتشبه القرشية في الطحين يجيء دقيقها خشناً وسنبلها لطاف وهي مع ذلك قليلة الريع . وقيل العلس مقترن الحب حبتان حبتان لا يتخلّص بعضهُ من بعض حتى يدق بالمواجن وهي المهاريس يعني لا يتنقّى ولا يندق وهو كالبر ورقاً وقصباً . والنوم الحنطة وقيل الحبوب واحدتهُ نومة وهي ايضاً البر . والحطاطة برّة صغيرة حمراء . والسلت حبٌّ بين الشعير والبر اذا نقي انسلت من قشره فكان مثل البر وهو ضربان اخضر واصفر ويقال للاخضر القصب انتهى

ويظهر من ذلك ان اهالي مصر والشام وبلاد العرب كانوا يزرعون اصنافاً مختلفة من القمح من عهد قديم جدّاً وقد اتقنوا زرعها وتأصيلها حتى عظم الفرق بينها

وبعيد عن الاحتمال ان تكون لهم هذه العناية بزرع القمح وتأصيلهِ وقد رأوا القمح البري في سورية ولم يعرفوهُ ولا انتفعوا بهِ لاسيما وان حبهُ لا يزال حتى الآن كبيراً كحب القمح العادي واصلهُ احد الاصناف التي ذكرها ابن سيده